(ذلك)بين الوضع اللغوي والاستعمال القرآني

الدكتور عباس رحيل الجغيفي
جامعة الأنبار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد : فذلك هو كتاب الله المعجز في لفظه ومعناه ، لا تنقضي عجائبه قد أعجز البلغاء وهام فيه الفصحاء ، وكثر فيه الكلام والبحث والتأويل فهو لكل زمان ومكان ، كتب فيه القدماء والمحدثون وما زال البحث فيه مستمرا، فالقران كلام الله وحسبه كذلك . وأنا بدوري لا أريد أن أقول في كتاب الله ما لم يقل ولا أقول شيئا قد خالف الدليل ، أردت من هذا البحث أن أبين شيئا يسيرا في هذا الكتاب العظيم وقد أسميت بحثي : (ذلك) بين الوضع اللغوي والاستعمال القرآني ، ودراستي هذه تعتمد على جانبين ، الأول : بينت فيه الأصل اللغوي والنحوي لاسم الإشارة (ذلك) ، وما هو وضعها واستعمالها عند أهل اللغة ومعناها وما تخرج إليه ، والجانب الآخر : بينت فيه استعمالها في القران الكريم .

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين ، الأول : ما يتعلق بمخاطبة المفرد والثاني : ما يتعلق بالمثنى والجمع ، أما الأول : فقد درست فيه (ذلك) من ناحيتين ، الأولى : اللغوية والثانية الدلالة واصل وضعه وما خرجت إليه من دلالة ، والعلاقة الدلالية بين هذا الاسم وبين اسم الإشارة (هذا) ، وكيف يطلق (ذلك) ويراد به (هذا) أو بالعكس يطلق (هذا) ويراد به (ذلك) وهو من خلال ما ورد في القران الكريم ، وبينت أصل وضع هذا الاسم (انه للبعد) وكيف استعمل في القران الكريم في هذا المعنى ..

أما ما يتعلق بالمبحث الثاني فقد تناولت فيه (ذلك) بين الإفراد والتثنية والجمع ، وكيف يطلق المفرد ويراد به الجمع أو العكس ، وبينت كلام النحويين في بيان أصل وضع كل لفظة ، وفي نهاية المطاف لخصت ما انتهيت إليه من نتائج . هذا ونسال الله التوفيق والسداد .

تمهيد:

في البدء نقول : يشار إلى المفرد بـ(ذا) كما يشار إلى المؤنث بـ(ذي ، وذه) بسكون الهاء و (ذهِ) بكسر الهاء و(هذا) يشار به إلى القريب ، فإذا أريد الإشارة إلى البعيد أتي بالكاف وحدها ، فتقول : (ذاك) ، أو الكاف واللام ، نحو : (ذلك) فيكون للمتوسط والبعيد ، حيث ذهب أكثر النحاة على ان مراتب اسم الإشارة هي ثلاثة : (هذا) للقريب و (ذاك) للمتوسط و (ذلك) للبعيد .

جاء في شرح المفصل : للقربى (ذا) وتلحقها (ها) التنبيه كثيرا ، وللوسطى (ذا) مع الكاف فتكون (ذاك) ، وللبعدى الكاف مع اللام فتكون (ذلك)[1] وهذه الكاف حرف خطاب ، لا موضع لها من الإعراب ، وهذا لا خلاف فيه[2] .

وحسب القاعدة التي نعرفها عن أهل العربية : أن الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ، وتحقيقا لما سبق وهو ما ذهب إليه الجمهور بان مراتب الإشارة ثلاث وذلك : ((لأمور منها : إن زيادة أحرف الكلمة توحي بزيادة التراخي ، فذا للقريب وذاك للمتوسط ، وذلك للبعد))[3] ، و (ها) التنبيه تلحق القريب والمتوسط ، وهذا ((يدل على أن (ذلك) للبعد ؛ لان التنبيه والبعد يتنافيان))[4] .

ويلحق كاف الخطاب بأواخرها فيقال في (ذا) : (ذاك) و (ذانِك) و(ذانِّك) بتخفيف النون وتشديدها ، قال تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[5] ، وأيضا في ذينك وتاك وتيك وذيك وتانك وتينك وأولاك وأولئك ، وكلها تلحقها كاف الخطاب[6] ، وتدخل (ها) التي للتنبيه على أوائلها : هذا وهذه وهاذاك وهذان وهاتا وهاتي وهذي وهاتيك وهؤلاء[7] .

وهناك معنى آخر في زيادة (اللام) حيث إنها تزاد مع (ذلك) للتوكيد ، أي إنها تؤكد الاسم الذي هو (ذا) ؛ لأنها إذا زيدت أسقطت معها (ها) ، فيجوز أن تقول : في ذاك الحق : ها ذاك الحق ، ويقبح هذلك الحق ؛ لان اللام قد أكدت معنى الإشارة[8] ، وهو ما ذكرناه عند جميع النحويين انه لا يجوز ذكر (ها) التنبيه مع اللام وإذا قرأنا عند ابن مالك نجده يقول في ألفيته :

بالكافِ حرفاً : دُونَ لامٍ ، أو مَعَهْ واللام ـإن قَدَّمْتَ (ها) ـ ممتنعَهْ[9]

جاء في إعراب القران للنحاس : يقال : ذلك ، ولغة تميم ذاك ، ولم ذلك ولا هذا لأنهما لا يثبتان على المسمى . قال البصريون : اللام في ذلك توكيد ، وقال الكسائي والفراء : جيء باللام في (ذلك) لئلا يُتَوَهَّم ان (ذا) مضاف إلى الكاف ، وقيل جيء باللام بدلا من الهمزة ولذلك كسرت ، وقال الأخفش علي بن سليمان (315 هـ) : جيء باللام لتدل على شدة التراخي . قال أبو إسحاق[10] : كُسِرَت فرقا بينها وبين لام الجرّ ولا موضع للكاف . والاسم عند البصريين (ذا) وعند الفراء الذال[11].

و(ذلك) من أسماء الإشارة الأكثر وروداً في القران الكريم ، فقد ورد اسم الإشارة (ذلك) الذي هو للمفرد في اربعمئة وأربعة عشر موضعا ، وهو مفصلا كالآتي : اسم الإشارة (ذلك) في مئتين وخمسة وثمانين موضعا ،وورد (وذلك) المسبوق بواو العطف في ثلاثة عشر موضعا ، و(فذلك) المسبوق بالفاء في ثلاثة مواضع ، و(بذلك) المسبوق بالباء في ثلاثة مواضع ، و (أ ذلك) المسبوق بالاستفهام في موضعين ، و (كذلك) المسبوقة بالكاف في مئة وخمسة وعشرين موضعا .

وهذا ما يخص المفرد المذكر والمؤنث ، وقد ورد مخاطبا به المثنى (ذلكما) في موضع واحد ، وورد مخاطبا به المجموع (ذلكم) بالميم في ستة وأربعين موضعا ، وورد في موضع واحد لمخاطبة مجموع الإناث (ذلكن) بالنون المشددة .

ومن خواص هذا الاسم في الاستعمال القرآني أن القرآن الكريم ليس فيه إشارة إلا بمجرد عن اللام والكاف معا ،أي : (هذا) ، أو مصاحب لهما معا ، أي :(ذلك)[12] ، أي : لم يرد في القران الكريم (هذاك) ، ولا (ذاك) .

المبحث الأول:
(ذلك) للبعيد تأتي بمعنى (هذا) للقريب:

كما بينا .. فإن (ذلك) يكون للبعيد و(هذا) للقريب ، وإنما زيدت (ها) لما هو للقريب ؛ للتنبيه ، وهذا منتفٍ مع (ذلك) ؛ لأنها للبعيد فلا يكون مع البعد تنبيه ، أي : إن التنبيه للقريب ، هذا هو الأصل ، (ذلك) للبعيد و (هذا) للقريب ، ولكن عندما نقرأ عند أهل اللغة نجد غير ذلك ، فقد تأتي (ذلك) بدلا من (هذا) ، وإذا وردت فيراد بها (هذا) ، وهو كثير وخاصة في الاستعمال القرآني ، فأحببت أن نقف على هذه المسألة لما فيها من براعة في الصياغة والبلاغة ، ونحاول أن نعرف المعاني المترتبة على هذا الأسلوب .

جاء في الهمع للسيوطي : ((قد ينوب ذو البعد عن ذي القرب وذو القرب عن ذي البعد ، إمّا لرفعة المُشار إليه والمشير ، نحو قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾[13] ، وقوله عز وجل : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[14] ، وقوله عز من قائل : ﴿ قالت فذلك الذى لمتننى فيه﴾[15] ، أو في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[16] ، أو ضعتهما نحو : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ﴾[17] ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾[18] أو نحو ذلك))[19].

يقول السيوطي : وقولي يتعاقبون هو مذهب الجرجاني وابن مالك وطائفة أن (ذلك) قد يشار بها للقريب بمعنى (هذا) ، و(هذا) قد يشار بها للبعيد بمعنى (ذلك) ، قال تعالى ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾[20] ثم قال ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[21] ، وهنا قد تعاقب المعنى[22] .

يقول القرطبي : (((ذلك) قد تستعمل في الاشارة إلى حاضر، وإن كان موضوعا للاشارة إلى غائب))[23] .

ويقول الشنقيطي : ((ومن أساليب اللغة العربية إطلاق الإشارة إلى البعيد على الإشارة إلى القريب))[24] .

وجاء في معاني النحو : ((يجوز أن ينوب اسم الإشارة الدال على القريب عن الدال على البعد وبالعكس ، فتنوب (هذا) عن (ذلك) و (ذلك) عن (هذا)))[25] .

جاء في معاني القران للفراء : ((وذكروا موقفا لا يجوز فيه نيابة (هذا) عن (ذلك) ولا (ذلك) عن (هذا) ، وذلك انك لو رأيت رجلين تنكر احدهما لقلت للذي تعرف : من هذا الذي معك ؟ ولا يجوز ههنا ، من ذلك ؛ لأنك تراه بعينه))[26] .

وإذا قرأنا أقوال النحويين في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ ألم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ نجد أقوالاً في ذلك ، يقول الفراء : يصلح فيه (ذلك) من جهتين ، وتصلح فيه (هذا) من جهة ، فأما احد الوجهين من (ذلك) فعلى معنى : هذه الحروف يا أحمد ، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك ، والآخر أن يكون (ذلك) على معنى يصلح فيه (هذا)))[27] ، أي : هذا الكتاب لا ريب فيه . وجاء في معاني القران للزجاج : ((زعم الاخفش وأبو عبيدة أن معناه هذا الكتاب))[28] .

وهناك كلام آخر للنحويين[29] : هو أن معناه : القران ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى (عليهما السلام) ، أي أشار إلى غيره ، وقد استدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[30] ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾[31] ، نلاحظ أن المعنى المترتب على رأي هؤلاء انه أشار بـ(ذلك) إلى الكتب السابقة ولم تكن حاضرة ، فيكون التأويل كما يراه هؤلاء : هذا ذلك الكتاب ، فـ(هذا) إشارة إلى القرآن ، وهو قريب و (ذلك) إشارة إلى غيره من الكتب السابقة وهو للبعيد ، وهنا جاء التفسير على أصل وضع اسم الإشارة وهو أن (ذلك) أريد به البعيد و (هذا) للقريب .

وهناك رأي آخر وهو انه يجوز أن يكون (ذلك) في قوله تعالى : ﴿ ألم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ ، للشيء الذي قد جرى ذكره ، أي : حدثٌ قد تمّ ذكره ، وفي هذا الأمر : يجوز فيه الأمران (هذا) و (ذلك) فان شئت قلت فيه (ذلك) ، كما يقال : أنفقت ثلاثة وثلاثة ، فذلك ستة وان شئت قلت هذا ستة ، وهو كقوله عز وجل في قصة فرعون : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[32] ، ومعنى ذلك : هذه الأحداث التي ذكرت ، فقد جاء (ذلك) لبيان الإشارة إلى حدث قد مضى ، وعلى عكس ذلك نجد قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾[33] ، وهذا أسلوب القرآن ليس في (ذلك) فحسب بل نرى اسم الإشارة (تلك) أيضا وهو للمؤنث ، وذلك في قوله تعالى : ((المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[34] فقال : (تلك) ((فجائز أن المعنى : تلك علامات الكتاب ، أي : القران متكلم به بحروف العرب التي تعقلها على ما وصفنا في حروف الهجاء))[35] .

وهناك رأي آخر ..... وهو أن (هذا) و (ذلك) ، يصلحان في كل كلام إذا ذكر ثم اتبعته بأحدهما بالإخبار ، ألا ترى انك تقول : قدم فلان ؛فيقول السامع : قد بلغنا ذلك . وقد بلغنا ذلك الخبر ، أو يقال فيه قد بلغنا هذا ، فصلحت فيه (هذا) ؛ لأنه قد قرب من جوابه فصار كالحاضر الذي تشير إليه ،

وصلحت فيه (ذلك) لانقضائه ، والمنقضي كالغائب . ولو كان شيئا قائما يرى لم يجز مكان (ذلك) (هذا) ولا مكان (هذا) (ذلك)[36] حيث ((يجوز أن ينوب اسم الإشارة الدال على القرب عن الدال على البعد وبالعكس فتنوب (هذا) عن (ذلك) و (ذلك) عن (هذا)))[37] ، وذلك إذا أريد به التعظيم أو التحقير[38]. ولا شك انه في القران قد أريد من هذا الأسلوب التعظيم وشواهد ذلك كثيرة ، وهذا ما أردنا أن نصل إليه .

وهناك أمثلة كثيرة في القران الكريم تساند هذا الرأي ، قال الله عز وجل : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[39] ، وقال عز وجل في موضع آخر : ((وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[40] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾[41] .

نلاحظ في هذه الآيات قد أشير لما سبق بـ(هذا) ، ونلاحظ في سياق آخر قد جاء اسم الإشارة (ذلك) بدلا من (هذا) وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾[42] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[43] ، جاء في بحر العلوم : ((﴿ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ، يعني يقال له : هذا الذي كنت تخاف منه وتكره))[44] ، ويقال : ذلك اليوم الذي كنت تفر منه[45] ، يقول الفراء : ((ولو قيل في مثله من الكلام في موضع (ذلك) : (هذا) أو في موضع (هذا) : (ذلك) لكان صوابا))[46] .

وتحليل هذه المسالة كالآتي : هو أن معنى (ها) للتنبيه فإذا قرب الشيء أشير إليه ، فقيل : هذا ، أي : تنبه أيها المخاطب لما أشرت إليه ، فانه حاضر معك بحيث تراه ، وإذا دخلت (الكاف) على (ذا) وهي للمخاطب ، و (اللام) لتأكيد معنى الإشارة ، فقيل : (ذلك) فكان المتكلم بالغ في التنبيه لتأكيد المشار إليه ، فهذا يدل على أن لفظة (ذلك) لا تفيد البعد في أصل الوضع ، وإذا ثبت هذا فنتيجة ذلك هي إنما حملت ها هنا على مقتضى الوضع اللغوي ، لا على مقتضى الوضع العرفي ، وحينئذ لا يفيد البعد ، ولأجل هذه المعادلة قام كل واحد من اللفظين مقام الآخر[47] .

إن ما سيق من كلام يوصلنا إلى شيء وهو أن (هذا) تصلح أن تأتي مكان (ذلك) و (ذلك) مكان (هذا) ، وإذا سلمنا بهذه النتيجة فنقول : إذا استعملت (ذلك) مقام (هذا) فربما أريد من ذلك التعظيم ورفعة المنزلة ، فقد يشار إلى القريب بلفظ في أصل وضعه للبعيد و قد يراد من ذلك التعظيم ، كقوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(48) ، إذ جيء باسم الإشارة (ذلك) إشارة إلى ما يشاهدونه من العذاب ، وإنما جيء بإشارة البعيد لتعظيم ما يشاهدونه من الأهوال .

إذن سبب النيابة هو إذا جاء وأريد بـه التعظيم أو التحقير (49) ، جاء في اللباب في علوم الكتاب : ((وإنما جيء هنا بإشارة البعيد تعظيماً للمُشَار إليه))(50) .

وجاء في البحر المديد في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾(51) ، أي : بعد ما ذكر من الأمور العجيبة ، حسبما ينبيء عنه ما في اسم الإشارة من البُعد ، المشعر بعُلُوِّ مرتبة المشار إليه وبُعد منزلته في الفضل(52) .

وفيه أيضا ﴿ هَلْ في ذلك ﴾ ، أي : فيما أقسمت به من هذه الأشياء ﴿ قَسَمٌ ﴾ ، أي : مُقسم به ، والمعنى : مَن كان ذا لُبٍّ عَلِمَ أنَّ ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية ، فهو حقيق بان يُقسم به ، وهذا تفخيم لشأن المقسَم بها ، وكونها أموراً جليلة حقيقة بالإقسام بها لذوي العقول ، وتذكير الإشارة لتأويلها بما ذكر ، وما فيها من معنى البُعد للإيذان ببُعد مرتبة المشار إليه ، وبُعد منزلته في الشرف والفضل (53) .

ولا شك أن (ذلك) في الآية الكريمة : ﴿ ألم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وغيرها من الآيات الكريمات إنما أريد منه بيان العظمة لهذا القران الكريم فأشير بـ(ذلك) بدلا من (هذا) ، وغيرها من الآيات لبيان عظمة الموقف . وإذا رجعنا إلى السياق العام للآيات الكريمات نجد أن الكلام مسوق إلى التعظيم وكما بيناه في الأمثلة السابقة ، فما أشير فيه بـ(ذلك) بدلا من (هذا) ، والقاعدة تقتضي (هذا) بدلا من (ذلك) فالموقف فيه لبيان شأن عظيم ، وهذه من بلاغة القران الكريم ومن خصائص الاستعمال القرآني .

وهذه الظاهرة نجدها في الشعر العربي وهي الإشارة بـ(ذلك) وهو قريب لبيان عظم المشار إليه ومن ذلك قول الشاعر :

أقولُ لهُ والرُّمْحُ يَأطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفافاً إنَّني أنا ذَلِكَا(54)

والمعنى : إنني أنا هذا (55).

وهذه المسالة ليست على إطلاقها فهناك ما لا يجوز فيه (هذا) في موضع (ذلك) ، ولا (ذلك) في موضع (هذا) ، فعندما يذكر شيء موجود ويرى قريبا وتوجد قرينة نستطيع أن نؤول بالبعيد ، إن كانت قرينة لفظية أو معنوية . جاء في معاني القران للفراء : ((وأما ما لا يجوز فيه (هذا) في موضع (ذلك) ولا (ذلك) في موضع (هذا) ، فلو رأيت رجلين تذكر احدهما لقلت للذي تعرف : من هذا الذي معك ؟ ولا يجوز ها هنا : من ذلك ؟ لأنك تراه بعينك))(56) .

ومثل هذا لا يجوز أيضا أن تخبر عن شخص لا يُرَى بعينه بـ(هذا) بدلا من (ذلك) ، فلو سبق لك أن رأيت رجلين وأردت أن تسال عن احدهما لم تعرفه فتقول : من ذلك الذي رايته أمس ولا يجوز أن تقول : ما هذا الذي رايته أمس ؛ لأنك تخبر عن شخص بعينه ولو كان الكلام عن خبر معين لصح والله اعلم .

وخلاصة القول في هذه المسالة : إن استعمال القران لاسم الإشارة يتحدد في بيانِ حالهِ في القربِ ، قالَ تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(57) . حيث استعمل الذي هو للقريب حيث تقول الملائكة لهم ذلك . وأيضا لبيانُ حالهِ في البعدِ ، قالَ تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾(58) . وكثيراً ما يُشَارُ إلى القريبِ غير الْمُشَاهَدِ بإشارةِ البعيدِ، تنزيلاً للبُعدِ عن العيانِ ، منزلةَ البعدِ عن المكانِ ، نحو: ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطع عَلَيْهِ صَبْراً﴾(59) .

وكذلك يعبر بما هو للقريب تعظيما بالقربِ وهو عكس ما أسلفنا ، قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(60). وكما يأتي اسم الإشارة لبيان التعظيمُ بالبُعدِ ، كقوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾(61) ، يأتي على عكس ذلك لبيان التحقيرُ بالبُعدِ ، قالَ تعالى: ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾(62) .

ومع الله تعالى استخدم اسم الإشارة الدال على البعد مع ضمير الجمع تعظيما ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾(63) ،وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(64) ،قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾(65) ،قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾(66) ،قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(67) ،قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾(68) ،قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(69) ،قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(70) ،قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(71) ،قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(72) .

و﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة على وجه يدل على بعد منزلته العظيمة والكبرياء واسم الإشارة مبتدأ والاسم الجليل خبره و ربكم خبر بعد خبر... ذلكم العظيم الشأن الذي عددت أفعاله ، الله مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ، ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به سبحانه له الملك على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره تعالى[73] .

ومن خصائص هذا الاسم أنه قد يشار به إلى محسوس وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا ريبَ فيه ﴾[74] ، وهنا الإشارة إلى الكتاب العظيم ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[75] ، أي ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي أنزله وجعله هادياً يهدي به من يشاء هدايته بمعنى يوفقه للإيمان والعمل به وترك الشرك والمعاصي بدليل أول الآية : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً ﴾[76] .

وقد ورد (ذلك) في القران الكريم ويشار به إلى غير محسوس كما في قوله تعالى : ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾[77] ، وقوله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[78] ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾[79] .

ولهذا اليوم الشديد ولأهميته كان التعبير بـ(ذلك) بدلا من (هذا) للاهتمام والتنبيه ، جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[80] ، أي : هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة الذي أنكروه وكذبوا به[81] .

أما ما يتعلق بأسماء الله وصفاته وذلك في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[82] ، وأمثالها كثير .. وهنا قد استعمل اسم الإشارة (ذلك) في الإشارة إلى حاضر ، وان كان موضوعا للإشارة إلى غائب[83] ، وفي هذا تنبيه باسم الإشارة الذي هو مفيد للحضور وهو زيادة في التأكيد على وجود خالق وهو من خلال الآثار الحسية حيث أشير إلى الخالق الموجد لها وهو الله سبحانه وتعالى وهو المفهوم من السياق العام للآية ، فتمام السياق : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ، ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[84] .

والتعبير باسم الإشارة (ذلك) إلى صفات الله تعالى إنما هو ليضعها في المنظور الحسي ، ولكي تحث وعي الإنسان فيستشرفها[85] .

وهناك آيات كثيرة في القران الكريم ورد فيها اسم الإشارة (ذلك) وهذه الآيات تنقل عظيمين ، نعيم الجنة وعذاب النار ، وورد اسم الإشارة في هذه المواضع ويكون فيه حكمة وهي التعبير بـ (ذلك) الدال على البعد للتعظيم وان كان الموقف يقتضي المشاهدة وهذا يوم القيامة يوم مشاهدة هذه المناظر ، والأمر الآخر هو إنزال غير المشاهد منزلة المشاهد المحسوس وتقريب الصورة ، وهذا في الحياة الدنيا ، والحكمة واضحة لتجتنب النار لهولها والعمل للجنة العظيمة بنعيمها ، وهذا يتحقق بقوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾(86) .

ومثل هذه الآيات كثيرة منها مثلا قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(87) ، وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(88) ، وقوله عز وجل : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(89) ، وقوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾(90) .

وفي عذاب النار قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾(91) ، وقوله عز وجل : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾(92) ، وقول عز من قائل : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ، ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾(93) ، وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ، إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ، وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ، لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ، قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا ﴾(94) .

ففي هذه الآيات قد أفاد اسم الإشارة (ذلك) التنبيه والعناية والاهتمام بالمشار إليه ؛ لان نعيم الجنة ليس كمثله نعيم ، وهو بذلك انزل الذي لا يرى من النعيم _ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(95) _ منزلة الحاضر المحسوس لترسيخ معناه ولتنبيه العقول إليه وللمثابرة والعمل من أجل الحصول إليه .

وكذلك في النار فقد انزل العذاب العظيم منزلة المشاهد المحسوس كما أن الجنة غاية في النعيم فالنار غاية في الجحيم .

جاء في التحرير والتنوير : ((وَجيء باسم الإشارة مفردا قصد المذكور بعلامة بُعد المشار إليه لتعظيمه بالبعد ، أي بُعد المرتبة وسموِّها ؛ لأن الشيء النفيس الشريف يتخلل عالياً والعالي يلازمه البُعد عن المكان المعتاد وهو السُفل ، وأين الثريا من الثرى)) (96) .

والتعبير بـ(ذلك) لنعيم الجنة وجحيم النار مع العلم أنهم يشاهدون ذلك والمقام هنالك يقتضي ان يكون التعبير بـ(هذا) ، ولكن هذه بلاغة القران الكريم والسبب في ذلك هو لتعظيم المشار إليه وكذلك إنزال غير المشاهد منزلة المشاهد .

جاء في كتاب الكليات : ﴿ الأصل في اسم الإشارة أن يشار به إلى محسوس مشاهد قريب أو بعيد وإن أشير إلى ما يستحيل إحساسه نحو { ذلكم الله ﴾ أو إلى محسوس غير مشاهد نحو ﴿ تلك الجنة ﴾ ؛ لتصييره كالمشاهد)) (97) .

ويأتي اسم الإشارة (ذلك) ويشار به إلى كلام سابق ، وهو كثير في القران الكريم ، جاء في توضيح المقاصد : أن التعبير بـ(ذلك) عن مضمون كلام على أثر انقضائه شائع في القرآن وغيره (98)، وهنا ينزل منزلة المشار إليه غير المحسوس ، جاء في التحرير والتنوير : ((والإشارة بقوله: ﴿ ذَلِكَ﴾إلى مذكور في الكلام السابق، وهو أقرب مذكور، كما هو شأن الإشارة إلى غير محسوس، فالمشار إليه هو المذكور قبل)) (99) ، ففي قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾(100) ، يقول ابن عاشور في تفسير ذلك : ((أو هو إتيان الرسل الذي جرى الكلام عليه في حكاية تقرير المشركين في يوم الحشر عن إتيان رسلهم إليهم، وهو المصدر المأخوذ من قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾(101) ، فإنه لما حكى ذلك القول للناس السامعين، صار ذلك القول المحكي كالحاضر، فصح أن يشار إلى شيء يؤخذ منه)) (102) .

وفي قوله عز وجل : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِنْدَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ ﴾(103) ، يعني : لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله اللهُ حَسْرةً في قلوبكم خاصَّةً ، ويصون منها قلوبكم ، فجعل ذلك إشارة إلى القول والاعتقاد(104) .

المبحث الثاني
(ذلك) بين الإفراد والتثنية والجمع :

الأصل في اسم الإشارة أن ((يتصرف مع المخاطب في أحواله مع التذكير والتأنيث والتثنية والجمع)) [105] ، وأمثلة ذلك كثيرة في القران الكريم :

قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[106] ، والخطاب هنا موجه من يوسف لصاحبه[107] ، وقال عز وجل : ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[108] ، وهنا الخطاب موجه من موسى لصهره[109] ، وقال سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾[110] والمخاطب هنا زكريا [111] ــ عليه السلام ــ ، وقال : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[112] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[113] ، وهنا خطاب لمريم[114] ــ عليها السلام ـــ وقال : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ، قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[115] ،والخطاب هنا موجه إلى امرأة إبراهيم[116] – عليه السلام – وقال : ﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[117] ، والخطاب هنا من يوسف عليه السلام وهو موجه الى من كانا معه في السجن[118] ، ، وقال : ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[119] ، وقال : ((ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾[120] ، وقال : ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾[121] ، وقال : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[122] ، وقال : ﴿ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[123] ، وقال : ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[124] ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[125] ، وفي هذه الآيات المخاطب فيها الجمع وغيرها كثير في القران الكريم[126] .

وقال عز وجل : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾(127) ، فالخطاب هنا من امرأة العزيز لنساء جمعتهن فالإشارة إلى يوسف والخطاب للنسوة(128) ، فهو لجمع الإناث .

وفي هذه الأمثلة التي سبقت نجد أن اسم الإشارة تصرف مع المخاطب بحسب وضعه اللغوي والعرفي وهذا أصله .

جاء في شرح المفصل : ((يتصرف مع المخاطب في أحواله من التذكير والتأنيث والتثنية والجمع))(129)، ويكون ذلك بان تختلف حركات الكاف – وهي كاف الخطاب المجردة عن معنى الاسمية – ليكون علامة على اختلاف أحوال المخاطب من التذكير والتأنيث والإفراد والمثنى والجمع ، وكما هو معلوم فبالحركة يتبين لنا الفرق بين التذكير والتأنيث بين الفتح للتذكير والكسر للتأنيث يلحق كذلك علامات تدل على عدد المخاطبين ، كيف يتضح لنا ذلك ؟ يتضح إذا تبع اسم الإشارة نعت لاسم الإشارة أو نداء المخاطب ، فإذا سالت عن رجل ، فقلت : كيف ذلك الرجل يا رجل ؟ بفتح الكاف ؛ لان الخطاب موجه إلى مذكر ، ومن ذلكَ قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾(130) ، وإذا سالت امرأة عن رجل قلت : كيف ذلك الرجل يا امرأة ؟ كسرت الكاف ؛ لان الخطاب موجه إلى مؤنث ، قال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾(131) والسياق يبين لنا الخطاب فتمام الكلام ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ، فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾(132) .

وفي موطن آخر قال تعالى :﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ، قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾(133) ،وقال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(134) ، وهذا خطاب من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير(135) .

نلاحظ في الآيات السابقة قد جاء اسم الإشارة (ذلك) بكسر الكاف ؛ لان المخاطب مفرد مؤنث ، وعلى عكس ذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾(136) ، فالخطاب هنا موجه إلى زكريا ـ عليه السلام ـ .

وإذا كان السؤال موجهاً لرجلين عن رجل ، قلت : كيف ذلكما الرجل يا رجلان ، ألحقت الكاف علامة التثنية ؛ لان الخطاب موجه إلى رجلين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[137] ، فالسؤال عن رجل والخطاب موجه لرجلين[138]

وإذا كان السؤال موجها إلى نساء يقال : كيف أولئكنَّ النساء يا نساء وكيف ذلكنَّ الرجل يا نساء اذا كان السؤال موجها لنساء عن رجل ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾[139] ، حيث الحق علامة جمع المؤنث ؛ لان الخطاب للنسوة وهنَّ صويحبات يوسف عليه السلام ، وهذا ما عليه القياس ، يقول ابن يعيش : ((هذه هي اللغة الفاشية التي يقتضيها القياس وعليها معظم الاستعمال))[140] .

وللجمع مثلا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[141] ، حيث يعود إلى ذبح الأبناء واستحياء النساء ، أي في المذكور نقمة من ربكم ، وقيل يعود إلى الانجاء من آل فرعون ، وقوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[142] ،أي : ذلكم المذكور المتقدم .

ولكن قد ورد في العربية (ذلك) بالإفراد ويراد به مخاطبة الجمع ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[143] ، ولم يقل ذلكم ، وقيل إنما افرد ؛ لأنه أراد الجمع ، كأنه قال : ذلك أيها الجمع والجمع لفظ مفرد[144] ، وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[145] ، وإذا قارنا هذا الكلام بما قدمنا فالقياس أن يكون اسم الإشارة (ذلكم) ، وإذا نظرنا إلى كلام النحويين في ذلك نجد أن هذا الأسلوب من الفصاحة بمكان ، جاء في المقتضب : ((وقد يجوز أن تجعل مخاطبة الجماعة على لفظ الجنس ؛ إذ كان يجوز أن تخاطب واحدا عن الجماعة ، فيكون الكلام له ، والمعنى يرجع إليهم ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ ﴾[146] ، ولم يقل (ذلكم) ؛ لان المخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فما ورد من هذا الباب فقسه على ما ذكرت لك تصب إن شاء الله))[147] .

وجاء في الأصول لابن السراج : ((واصل الكلام (ذلكم) هذا في الخطاب يجوز ؛ لان كل واحد منهم يخاطب ، ويقال : هاك وهاكما وهاكم والمؤنث هاك))[148] .

ومن استعمال (ذلك) موضع (ذلكم) قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ﴾[149] ، وقوله : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الأَيَاتِ ﴾[150] ، كما قد يشار بما للواحد إلى الاثنين ، كقوله تعالى : ﴿عَوَانٌ

بَيْنَ ذَلِكَ ﴾[151] ، والى الجمع ، كقوله تعالى : ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾[152] بتأويل المثنى والمجموع بالمذكور[153]

جاء في شرح المفصل : ((وفيها لغة أخرى نقلها الثقات وهي إفراد علامة الخطاب وفتحها على كل حال لجانب الواحد المذكر ، فتقول للرجل : كيف ذلك الرجل يا امرأة بفتح الكاف كخطاب المذكر وكذا إذا خاطبت اثنين أو جماعة))[154] .

قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[155] ، وقياس اللغة الأولى (كذلكم) ؛ لان الخطاب موجه لجماعة كما ورد في آية أخرى : ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾[156] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[157] ، ولم يقل (ذلكم) ، مع العلم أن المخاطب جماعة .

هذا من جهة المخاطب من حيث كونه مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، نلاحظ أن (ذلك) الأصل فيها أن يراعى المخاطب بين الإفراد – المذكر والمؤنث – والمثنى ، والجمع – المذكر والمؤنث – ، ولاحظنا كيف وردت بفتح الكاف (ذلكَ) الخاصة بمخاطبة المفرد وقد استعملت في سياق مخاطبة غير المفرد ، أما من جهة المشار إليه فأسماء الإشارة تختلف باختلاف أحوال المشار إليه فـ(هذا) و(هذه) للحاضر ، والتثنية هذان و(ذلك) للغائب وهاتان وتلك والجمع هؤلاء وأولئك والكاف في جميع ذلك للخطاب وهي حرف لا اسم[158] ، ونجد في القران الكريم قد استعمل اسم الإشارة (ذلك) بالإشارة إلى المفرد وغيره .

جاء في الكشاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الاْْ مْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴾[159] ، ((أي : بين ذلك المذكور ، وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بـ(ذلك) ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول : فذلك كيت وكيت على معنى : فذلك المحسوب او المعدود ..))[160] .

وأيضا نجد الكلام نفسه أو قريبا منه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾[161] ، حيث يقول : ((جائز ان يكونا خبرين معا ، او يحتمل بين ذلك لغوا ، وقواما مستقرا . وان يكون الظرف خبرا ، وقواما حالا مؤكدة))[162] .

وفي هذه الآية وهي قوله : ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ قد أجاز الفراء أن يكون ﴿ بين ذلك ﴾ اسم كان ، على انه مبني لإضافته إلى غير متمكن ، كقوله :

لم يمنع الشرب منها غيرَ أن نطقت[163] ..

ويعلق عليه الزمخشري بقوله : ((وهو من جهة الإعراب لا باس به ، ولكن المعنى ليس بقوي ؛ لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة ، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة))[164] .

يبين هذا الكلام أن (ذلك) إشارة الى (الإسراف والتقتير) وهما اثنان فعبر عنهما بـ(ذلك) وكان الأصل (ذلكما) ويدل على ذلك (بين) التي تاتي مضافة الى اكثر من واحد ، و تتبين هذه المسالة بوضوح خاصة إذا أضيف إلى (ذلك) لفظة (بين) والمعروف أن (بين) لا تضاف إلا إلى أكثر من واحد ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ ﴾[165] ، حيث أضيفت (بين) إلى أكثر من واحد كقولنا : المال بين زيد وعمر ، يثبت هذا الكلام أن (ذلك) لم تأتي لمفرد وإنما جاءت لأكثر من واحد وهو إشارة إلى ما سبق لهذه الآية وهو قوله تعالى : ﴿ لا فارض ولا بكر ﴾ ، إشارة إلى هذين الوصفين .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[166] ، حيث قرئ ﴿ تخاصم ﴾ بالنصب على انه صفة لذلك ؛ لان أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس[167] ، وهنا يأتي السؤال ، لماذا سمي (ذلك) المفرد تخاصما (جمعا) بكونه صفة ؟ والجواب نجده عند الزمخشري ، حيث يقول : ((شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين نحو ذلك ؛ ولان قول الرؤساء : لا مرحبا بهم ، وقول إتباعهم : بل انتم لا مرحبا بكم ، من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك))[168] وعلى هذه القراءة قد عوملت (ذلك) معاملة الجمع .

وجاء أيضا في الكشاف للزمخشري : ((إن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة))[169].

وجاء في التحرير والتنوير معلقا على كلام الزمخشري : ((قيل أراد به أن جمع أسماء الإشارة وتثنيتها لم يكن بزيادة علامات بل كان بألفاظ خاصة بتلك الأحوال فلذلك كان استعمال بعضها في معنى بعض أسهل إذا كان على تأويل ، وهو قليل الجدوى ؛ لأن المدار على التأويل والمجاز سواء كان في استعمال لفظ في معنى آخر أو في استعمال صيغة في معنى أخرى فلا حسن يخص هذه الألفاظ فيما يظهر فلعله أراد أن (ذا) موضوع لجنس ما يشار إليه ... فـ(ذا) يشار به للمثنى والمجموع ولا عكس فلذلك حسن استعمال المفرد منها للدلالة على المتعدد))[170].

مما تقدم يتبين لنا أن (ذلك) في الاستعمال القرآني قد وردت كما هي على أصلها (ذلك) في سياق مخاطبة المفرد وغيره ، ووردت كذلك بلفظ المفرد وقد أشير بها إلى المفرد وغيره وهو من خصائص الاستعمال القرآني .

الخاتمة والنتائج :

في هذا البحث حاولنا أن نصل إلى شيء يسير من الاستعمال القرآني للألفاظ ، ومن خلال ما تناولناه عن (ذلك) في القران الكريم كلام الله المعجز ، نستطيع أن نوجز ما وصلنا إليه من نتائج :

– إن (ذلك) أكثر أسماء الإشارة ورودا في القران الكريم .

– ينوب اسم الإشارة (ذلك) الموضوع للبعد عن (هذا) الموضوع للقرب ، و كذلك العكس قد ينوب (هذا) الموضوع للقرب عن (ذلك) الموضوع للبعد ، وهو من خصائص الاستعمال القرآني وفي هذا الاستعمال حكمة وهو من بلاغة القران الكريم ، لتعظيم المشار إليه ورفعة منزلته أو لضعته ودنوه .

– وردت الإشارة إلى لفظ الجلالة بـ(ذلكم) مع ضمير الجمع والإشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله على وجه يدل على منزلته العظيمة .

– الإشارة بـ(ذلك) إلى المحسوس كما قد يشار به إلى غير المحسوس وان كان الموقف يقتضي المشاهدة ، ولكن الحكمة منه لإنزال غير المشاهد منزلة المشاهد المحسوس وتقريب الصورة .

– ورد اسم الإشارة (ذلك) الموضوع للمفرد المخاطب باستعمالين :

الأول : على أصل وضعه بحسب المشار إليه (ذلكَ) بفتح كاف الخطاب للمفرد المذكر ، و (ذلكِ) بكسر كاف الخطاب للمفرد المؤنث ، و(ذلكما) لمخاطبة المثنى ، و (ذلكم) لمخاطبة الجماعة ، و (ذلكنَّ) لمخاطبة جماعة الإناث .

والثاني : وردت (ذلك) لمخاطبة كل ما ورد سابقا بلفظ المفرد المذكر (ذلكَ) .

– ورد اسم الإشارة (ذلك) _ المشار به إلى مفرد _ مشيراً به إلى غير المفرد .

الهوامش

1) ينظر : شرح المفصل / 3/ 135 ، وهمع الهوامع / 1/ 76 .

2) ينظر : شرح المفصل / 130-134

3) معاني النحو / 1/ 84 .

4) معاني النحو / 1/ 84 -85 .

5) القصص/ 32.

6) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب / 181 .

7) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب/ 181.

8) ينظر : معاني القران وإعرابه / الزجاج / 1 / 68 .

9) ينظر : شرح ابن عقيل / 1 / 132 .

10) ينظر : إعراب القران ومعانيه / 28 .

11) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف مسالة 95 ، والبحر المحيط / 1/ 154 ، وإعراب القران للنحاس / 1/ 24 .

12) ينظر : توضيح المقاصد/186/1 .

13) البقرة / 2.

14) الشورى / 10

15) يوسف / 32

16) الإسراء / 9

17) الأنبياء / 36

18) الماعون / 2

19) همع الهوامع / 1/ 303 .

20) آل عمران / 58

21) آل عمران / 62

22) ينظر : همع الهوامع/ 1 / 303-304.

23) تفسير القرطبي / 1 / 157 .

24) أضواء البيان /7 /186 .

25) معاني النحو / د . فاضل صالح السامرائي / 1/ 85 ، وينظر : شرح الرضي على الكافية / 2/ 32 ، وهمع الهوامع/ 1 / 77 .

26) معاني القران للفراء / 11/1 .

27) معاني القران / الفراء / 10/1 .

28) معاني القران وإعرابه / الزجاج / 1/ 67 .

29) معاني القران وإعرابه / الزجاج / 1/ 67 .

30) البقرة / 89

31) البقرة / 146

32) النازعات / 21- 26.

33) الأنبياء / 106 .

34) الرعد / 1.

35) الزجاج / 68/1 .

36) ينظر : معاني القران للفراء / 1/ 10-11.

37) معاني النحو / 85/1 ، وينظر : شرح الرضي على الكافية / 2 / 32 ،و همع الهوامع / 1 / 77 .

38) ينظر : معاني النحو / 1/ 85 .

39) ص / 49 .

40) ص/ 52- 53 .

41) الأنبياء / 106 .

42) النازعات / 25-26 .

43) ق / 19 .

44) بحر العلوم / 3 / 319 .

45) بحر العلوم / 3 / 319 .

46) معاني القران / الفراء / 11/1

47) ينظر : مفاتح الغيب / الرازي / 2 / 13 ، اللباب في علوم الكتاب / 1 / 262 .

48) آل عمران / 182 ، الأنفال / 51 .

49) ينظر : معاني النحو / 1/ 85 .

50) اللباب في علوم الكتاب / 1 / 261.

51) المؤمنون / 15.

52) البحر المديد / 5 / 7 .

53) ينظر : البحـر المديـد /8 / 297 ، وينظر : تفسير أبي السعود /1 / 288 ، 3 / 6 ، 4 / 308 ، وروح المعاني / 6 / 60.

54) البيت لخفاف بن ندبة يخاطب مالك بن حماد سعيد بن فزارة ، وقد قتله خفاف ثأرا لمعاوية بن عمرو أخي الخنساء ، ينظر : الخصائص / 2 / 186 ، الزاهر / 2 / 280 ، الأغاني 2 / 323 ، ، 15/ 323 ، 18 / 82 ، وخزانة الأدب / 2 / 471 ، والكامل في اللغة والأدب / 3 / 167 ، وصبح الأعشى / 14 / 153 . ويأطر متنه : يلوي بدنه حتى يتلاقى طرفاه كالحبل.

55) ينظر : معاني القران وإعرابه / الزجاج / 1/ 67 ، وينظر : أضواء البيان /4 /284 ، تفسير الماوردى / 1 / 67 .

56) معاني القران / الفراء / 11/1.

57) يس/63.

58) ق /42.

59) الكهف/ 82

60) الإسراء/9.

61) البقرة/2 .

62) الماعون / 2 .

63) الأنعام/95 .

64) الأنعام/102 .

65) يونس/3 .

66) فاطر/13 .

67) الزمر/6 .

68) غافر/62 .

69) غافر/64 .

70) الشورى/10 .

71) يونس/32 .

72) الأنعام/102 ، يونس/3 ، فاطر/13 ، الزمر/6 ، غافر/62 ،64 .

73) روح المعاني/23/241

74) البقرة / 2.

75) الأنعام/88 ، الزمر/23

76) ينظر : أيسر التفاسير / 4/ 480 / ، واللباب / 16 / 505 ، والبحر المحيط / 7 / 406 ، ومفاتيح الغيب / 26 / 238 ، والكشاف / 4 / 126.

77) التغابن / 9.

78) الدهر / 11 .

79) النبأ / 39 .

80) المعارج / 44.

81) ينظر : أيسر التفاسير / 5 / 437.

82) السجدة / 6 .

83) ينظر : تفسير القرطبي / 1 / 157 .

84) السجدة / 5-9 .

85) ينظر : خصائص التراكيب دراسة لمسائل علم المعاني / 157 .

86) السجدة/16 .

87) التوبة / 72 .

88) الحديد / 12 .

89) الصف / 12 .

90) البروج / 11 .

91) التوبة/63.

92) الزمر/16.

93) فصلت / 27-28.

94) الفرقان / 11- 15 .

95) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه / 3 / 1185 برقم (3072) ، ونظر صحيح مسلم : 4 /2174 برقم (2824) .

96) التحرير والتنوير : 121/23 .

97) كتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى / 173

98) ينظر: توضيح المقاصد/186/1 .

99) التحرير والتنوير / 7 / 61 .

100) الأنعام / 131 .

101) الأنعام: 130.

102) التحرير والتنوير / 7 / 61 .

103) آل عمران / 157 .

104) ينظر : اللباب في علوم الكتاب / 7 / 9 .

105) المفصل في صنعة الإعراب / 181 .

106) الكهف/64 .

107) ينظر : تفسير ابن كثير / 3 /113، و زاد المسير : 5 / 161 .

108) القصص/28 .

109) ينظر : تفسير ابن كثير / 3 /468 .

110) آل عمران/40 .

111) ينظر : تفسير ابن كثير / 1/ 443 ، وجامع البيان /6 /384 ، وتفسير الكريم المنان / 129 .

112) آل عمران/.47

113) مريم/20-21 .

114) ينظر : جامع البيان / 6 / 420، 18 / 165 ، وتفسير ابن كثير / 3/ 140 ، وتفسير الكريم المنان / 131 ، 491.

115) الذاريات/29-30 .

116) ينظر : تفسير القرآن العظيم / 2 / 550 ، الكشف والبيان / 9 / 177 .

117) يوسف/37 .

118) ينظر : تفسير ابن كثير / 2 / 582 .

119) الجاثية/35 .

120) غافر/12 .

121) الأنفال/18 .

122) البقرة/54 .

123) الأعراف/85 .

124) التوبة/41 .

125) النور/27 .

126) ينظر مثلاً : البقرة/54 ، البقرة/232 ، الأعراف/85 ، التوبة/41 ، النور/27 ، فصلت/23 ، الأحزاب/4 ، غافر/75 ، العنكبوت/16، الصف/11، المجادلة/3 ، الطلاق/2 .

127) يوسف/32 .

128) ينظر : فتح القدير/ 3 /23

129) شرح المفصل / 2 / 93

130) يوسف / 52 .

131) مريم 21 .

132) مريم / 20–22 .

133) الذاريات / 29–30.

134) آل عمران / 45 ، 46 ، 47 .

135) ينظر : تفسير الطبري / 6 / 420 ، تفسير ابن كثير / 1 /447، تفسير الخازن / 1 / 348 .

136) مريم/8–9.

137) يوسف / 37.

138) ينظر : شرح المفصل / 2/ 93.

139) يوسف / 32.

140) شرح المفصل / 2/ 94.

141) البقرة /49.

142) البقرة /54.

143) ق / 51 .

144) ينظر :أسرار العربية /341.

145) المجادلة / 12 .

146) النساء / 3 .

147) المقتضب / 276/3.

148) ينظر : الأصول في النحو/ 2 / 132 .

149) النساء / 25

150) البقرة/219، 242، 266 ، آل عمران/103 ، المائدة/89 ، النور/58 ، 59 ، 61 ،

151) البقرة / 68 .

152) الإسراء / 38 .

153) ينظر : شرح الرضي على الكافية / 2 /482 .

154) شرح المفصل / 94/2.

155) البقرة /143.

156) الفتح / 15 .

157) محمد/ 8- 9.

158) ينظر : شرح المفصل / 3/ 135 ، وهمع الهوامع / 1/ 76 ، اللمع في العربية/ 104 _النحو الوافي/ 1/ 322 .

159) الفرقان / 38.

160) الكشاف / 3 / 286.

161) الفرقان / 67 .

162) الكشاف / 3 / 298.

163) البيت في كتاب سيبويه وتمامه :

لَمْ يَمْنعَ الشّرْبَ منها غير أنْ نطَقَتْ حَمامة في غُصون ذات أوْقالِ

وقد نسبه للكناني ، وفي المفصل لأبي قيس بن رفاعة ، ينظر البيت في كتاب سيبويه : 2 / 329 ، سر صناعة الإعراب / 2 / 507 ، المفصل للزمخشري / 163 ، مغني اللبيب / 211،

164) الكشاف / 3 / 299.

165) البقرة 68.

166) ص / 64 .

167) ينظر : الكشاف / 4 /105 ، والبحر المحيط / 7 / 390 ، والسراج المنير / 2305.

168) الكشاف / 4 /105 .

169) الكشاف / 1 / 178 .

170) التحرير والتنوير / 1 / 512

المصادر والمراجع :

- القران الكريم .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي أبو السعود / دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- أسرار العربية / عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد/ تحقيق : د.فخر صالح قدارة / الطبعة الأولى / دار الجيل – بيروت 1995م .
- الأصول في النحو/ أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي/ تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي/ الطبعة الثالثة ، / مؤسسة الرسالة – بيروت 1988 .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : 1393هـ) / دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان / الطبعة : 1415 هـ– 1995 م
- إعراب القران / ابو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (338 هـ) / دار الكتب العلمية / 1421 هـ – 2001 م .
- الأغاني / أبي الفرج الأصفهاني / تحقيق : سمير جابر / دار الفكر / الطبعة الثانية – بيروت .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين / أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري / دار الفكر – دمشق .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري/ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية / الخامسة، 1424هـ/2003م

- البحر المديد / أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس/ دار الكتب العلمية الطبعة الثانية / بيروت 2002 م . 1423 ه
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)/ مؤسسة التاريخ العربي/ الطبعة الأولى / بيروت – لبنان 1420هـ/2000م .
- تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض / دار الكتب العلمية / الطبعة: الأولى / لبنان – بيروت 1422هـ –2001م .
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) / علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن / دار الفكر – بيروت / لبنان – 1399 هـ /1979 م
- تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت : 774هـ) / تحقيق : محمود حسن / دار الفكر/ الطبعة الجديدة 1414هـ/1994م .
- (تفسير الماوردى) النكت والعيون / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري / تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم / دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك / أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت : 749هـ) / تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان / دار الفكر العربي / الطبعة الأولى 1428هـ – 2008م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي/ تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق / مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى 1420هـ –2000 م .
- جامع البيان في تأويل القرآن / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، (ت 310 هـ) / تحقيق : أحمد محمد شاكر / مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى ، 1420 هـ – 2000 م .
- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / دار الشعب – القاهرة .
- خزانة الأدب وغاية الأرب/ تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري / تحقيق : عصام شعيتو / دار ومكتبة الهلال / الطبعة الأولى – بيروت 1987م .
- الخصائص / أبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) / تحقيق : محمد علي النجار / عالم الكتب – بيروت .

- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ـ للدكتور محمد أبو موسى ، 1400هـ ـ 1980م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ محمود الألوسي أبو الفضل/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي/ المكتب الإسلامي / الطبعة الثالثة / بيروت – 1404
- الزاهر فى معانى كلمات الناس / أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 327 هـ) / مؤسسة الرسالة – بيروت – 1412 هـ –1992
- سر صناعة الإعراب/ أبي الفتح عثمان بن جني/ تحقيق : د.حسن هنداوي / دار القلم – دمشق/ الطبعة الأولى ، 1985
- شرح ابن عقيل / بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (769)هـ / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد / ناصر خسرو / الطبعة السابعة / ايران
- شرح كافية ابن الحاجب / رضي الدين محمد بن الحسن الإستربادي (ت 686هـ) / الطبعة المصورة في دار الكتب العلمية في بيروت عن طبعة الإستانة 1310هـ .
- شرح المفصل موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (643 هـ) / تحقيق : احمد السيد سيّد احمد / المكتبة التوفيقية / القاهرة .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا/ أحمد بن علي القلقشندي / تحقيق : د.يوسف علي طويل / دار الفكر – دمشق/ الطبعة الأولى ، 1987م .
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) / محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي/ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت / الطبعة الثالثة ، 1407هـ – 1987م .
- صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت .

- **الكامل في اللغة والأدب / محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : 285هـ) / المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي – القاهرة / الطبعة الثالثة 1417 هـ – 1997 م**
- **كتاب سيبويه / أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (180 هـ) / تحقيق : عبد السلام محمد هارون / دار الجيل ـ بيروت .**
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي/ عبد الرزاق المهدي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .**
- **الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع / أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري / تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور / دار إحياء التراث العربي / الطبعة : الأولى / بيروت – لبنان – 1422 هـ – 2002 م**
- **كتاب الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي/ تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري/ مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ – 1998م.**
- **اللباب في علوم الكتاب/ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي/ تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى– بيروت / لبنان – 1419 هـ –1998 م**
- **كتاب اللمع في العربية / أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي / تحقيق : فائز فارس / دار الكتب الثقافية – الكويت ، 1972**
- **معاني القران / أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (207 هـ) / تحقيق : احمد يوسف نجاتي / محمد علي النجار / دار الكتب المصرية / الطبعة الثالثة / القاهرة – 1422 هـ – 2001 م .**
- **معاني القران وإعرابه / ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت 311 هـ) / تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي / دار الحديث / القاهرة .**
- **معاني النحو / الدكتور : فاضل صالح السامرائي / دار الفكر / عمان – 2005 م .**
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي / 1378هـ .**
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري/ تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله / دار الفكر – بيروت / الطبعة السادسة ، 1985**
- **مفاتيح الغيب / الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي/ دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى / بيروت – 1421هـ – 2000 م .**

- المفصل في صنعة الإعراب / أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري / تحقيق : د.علي بو ملحم / دار ومكتبة الهلال / الطبعة الأولى/ بيروت 1993م .
- المقتضب/ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد/ تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة / عالم الكتب / بيروت .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع / جلال الدين السيوطي (945 هـ) / مطبعة السعادة / الطبعة الأولى / مصر – 1327هـ .